

بعد ستين عاما الموسيقى تعود إلى المدارس السعودية

مثقفون سعوديون يطالبون بالتدرج في إدراج الموسيقى والفنون في المناهج لتجنب الصدمة



في سبيل الارتقاء بالتعليم والتسريع من عجلته وفق رؤية الملكة الجديدة، تحاول وزارة الثقافة أن ترفع من سقف أحلامها مدفوعة بالتعاون المشترك بينها وبين وزارة التعليم لخلق مزاج من التوافق الوطني العام بين المؤسسات الخدمية والتعليمية والثقافية. من هنا، يأتي قرار التعاون بين الوزارتين، في ما يخص إدراج الموسيقى والفنون في المناهج، وإنشاء الأكاديميات المتخصصة، خطوة ذات قيمة كبيرة عند المثقفين والأكاديميين. غير أن القرار رافقته حزمة من الأسئلة، مثل هل يجب أن تعمل الوزارتان على ذلك بشكل سريع، أم أنه لا بد من العمل على مقدمات مرحلية للدخول في خطوة تعليم الموسيقى؟ وهل الجاني المدرسية جاهزة لذلك؟ وهل لدى التعليم كوادير مهية لتدريس الموسيقى؟ هذه الأسئلة وغيرها يطرحها هذا الاستطلاع على نخبة من المثقفين السعوديين.

زكي الصدير
كاتب سعودي

التقى مؤخرًا وزيرًا الثقافة والتعليم السعوديين في درعية الرياض للبحث في أوجه التعاون بين الوزارتين، وأثمر عن اللقاء الاتفاق على التعاون في إدراج الثقافة والفنون في مناهج التعليم العام والأهلي، ونقل صلاحيات إعطاء التصاريح والرخص للأنشطة والمسارات الثقافية والفنية إلى وزارة الثقافة، وأن يكون لوزارة الثقافة التصريح للمعاهد والجامعات والكليات والمدارس الأهلية للبرامج والأنشطة والمسارات التعليمية المستحددة في الثقافة والفنون، ودراسة نقل إنشاء وإصدار التصاريح للمعاهد والكليات والمدارس الأهلية المتخصصة في مجالات الثقافة والفنون إلى وزارة الثقافة.

كما أقر اللقاء استخدام مرافق وزارة التعليم كالمسارح المدرسية والجامعية. وعلى ضوء ذلك كشف وزير الثقافة أنه سيتم إدراج الموسيقى والمسرح والفنون في مناهج التعليم في السعودية.

تخطي التراكمات

تعدّ الشاعرة رباب إسماعيل إدراج الفنون في المناهج التعليمية الية لتهديب النفس البشرية وتفعيل مكانة الجمال فيها، فالمجتمع السعودي أمام لحظة تاريخية يحاول فيها التعويض عن ارتدادات مرحلة النكوص التي عطلت تقدمه لعقود من الزمن.

تقول إسماعيل "إن إدراج الموسيقى ما هو إلا مفردة من مفردات خطاب معرفي جديد يعيشه المجتمع في كل مرافق الحياة، إلا أنها المفردة الأكثر ريننا وبيرونا، لأنها الأخر تناقرا مع الخطاب القديم، وهنا يبدأ البحث عن أفضل البات تحقيق أهداف هذا القرار، وأفضل البات تقبل المجتمع له. والتي قد يكون من الجيد البدء بتطبيقها تدريجيا، كان يتم إدراج الموسيقى ضمن بعض الأنشطة، أو أن يختار الطالب في البداية نشاطا فنياً مع كل عام دراسي".

وتتابع "ما أن يقف المجتمع مباشرة أمام هذه الفنون، ويُدرك أهميتها الإبداعية والنفسية والتربوية؛ ستبدأ الصورة الذهنية القديمة المرتبطة بشيخظة الفنون بالزوال، ليجد أنه أمام طرح إنساني أعمق مما رُسم في ذهنه. إن إدراج الفنون يخلق فرصة للجميع من عدم كون الثقافة وتدوقها أو الحصول عليها نخبويا، يرتبط بالأسرة ونمطها فقط، أو بمقدار تحصيلها العلمي أو الثقافي أو الاقتصادي".

ومن جانبه يوضح القاص محمد ربيع الغامدي أنه ليس بحاجة لتأكيد أن الموسيقى كانت تدرس بالفعل في بعض المدارس السعودية مثل مدارس الخفر بجدة، وكذلك كانت الفنون المسرحية تمارس داخل المدارس على اختلاف مستوياتها. يقول "كنت أنا شخصيا موجها للتربية المسرحية في تعليم منطقة الباحة، لكن ذلك كله قد تراجع لاحقا فتوقفت تدريجيا عن الموسيقى وتحولت مسمى التربية المسرحية إلى النشاط

الثقافي الذي اهتم بأنشطة عديدة على حساب التمثيل نفسه. ما يحدث الآن هو إعادة بناء ممنهجة بعد سنوات من الإجهادات الذاتية أو المقاربات التي تركت الفعل الثقافي للصدفة وما يتيسر من التأهيل (مع أن الموسيقى والمسرح اداتان ثقافيتان وعنصران من عناصر الهوية الثقافية)".

ويضيف "ما يحدث الآن هو توجيه بوصلة التغيير نحو الجذور، أو هو (بتعبير صناعي) فرمته تستهدف تكوين فورمات جديدة خالية من الإصابات والملفات المنهكة. الأساس الصحيح لكل فعل صحيح أن نعود إلى التنشئة، فالفعل السليم يتخلق أولا في حقول التنشئة، وهذا القرار سيحقق هدفين متوازيين: بناء أساس ثقافي صحيح، وخلق بيئة تعليمية مشجعة، بنبي جيلا متقفا ونخلق محبة داخل المدرسة. وأرى في ذلك منهجا مدروسا تسير فيه الوزارتان من أجل قدر ثقافي مؤمل".

وتؤكد الكاتبة والمدرسة في تطوير الذات أمنة الذروي أن القرار خطوة مهمة لا بد منها لمواكبة رؤية 2030، وما كان من تعاون بين الوزارتين هو بارقة أمل تلوح في الأفق لتخطي كل التراكمات التي نتجت من المجتمع بفعل زمن قد مضى.

تقول الذروي "اعتقد أن التجهيز لهذا القرار سيعبر أشياء كثيرة بالتعليم للأفضل في المنهج والنشاطات وسنواكب نتاجا جيدا من المواهب وفرزها والالتزام الكامل للطلاب من الجنسين إلى التفنن وتهذيب الذوق العام حتى في موادهم الدراسية، حيث إن البيئة التعليمية ستتغير وينكسر حاجز البيئة التعليمية ستتغير وينكسر حاجز التقادم". وتضيف "بدأت الخطوة حين أعلن عن الرؤية ولي العهد، واستقبلها المواطنون بفرح وسعادة لما تحمله بين كفيها الكثير من الإصلاحات، وكل ما نريده الآن هو سرعة وتسهيل الإجراءات،

وتمكين القرار على أرض الواقع وتهيئة المباني المدرسية ولو بشكل مبسط ليأخذ القرار حقه في جميع المدن، وكذلك تبني بعض الكوادير الوطنية المهية للعمل، مع استخدام بعض الكوادير للدول المجاورة. في النهاية النجاح قائم على التخطيط والوعي والاستمرارية".

الخروج من الضبابية

تري الشاعرة مها العيسى أن القرار جاء منسجما مع الحقوق الإنسانية والثقافة المسلوقة لقرون مضت بدوى هذا الحلال والحرمان. تقول العيسى "دعونا ندرک الركب شأننا شأن العالم الذي يعي أهمية هذه الثقافة وما تقدمه من رسائل هادفة وسامية متى شئنا تطويعها لذلك، كما فعلت أوروبا بعلاج بعض مرضاها بالموسيقى فأنفرت من خلاله نجاحا، دعونا نعيش التجربة فنحن بهذا القرار لا نحاول المساس بالدين وتشريعاته ولا نغالط ما حملته المناهج الدينية، ولا نطعن في مفهوم رموزنا الدينية وفتواهم، وإنما نحاول أن نخاطب بشيء من التعقل تلك المفاهيم التي دعنتنا لتحريم هذه الثقافة، لعنا مثلها مثل أي شيء في الحياة لها إن لم نصب لا نخطئ، لأنها في الأصل

تقول الذروي "اعتقد أن التجهيز لهذا القرار سيعبر أشياء كثيرة بالتعليم للأفضل في المنهج والنشاطات وسنواكب نتاجا جيدا من المواهب وفرزها والالتزام الكامل للطلاب من الجنسين إلى التفنن وتهذيب الذوق العام حتى في موادهم الدراسية، حيث إن البيئة التعليمية ستتغير وينكسر حاجز التقادم". وتضيف "بدأت الخطوة حين أعلن عن الرؤية ولي العهد، واستقبلها المواطنون بفرح وسعادة لما تحمله بين كفيها الكثير من الإصلاحات، وكل ما نريده الآن هو سرعة وتسهيل الإجراءات،

وتمكين القرار على أرض الواقع وتهيئة المباني المدرسية ولو بشكل مبسط ليأخذ القرار حقه في جميع المدن، وكذلك تبني بعض الكوادير الوطنية المهية للعمل، مع استخدام بعض الكوادير للدول المجاورة. في النهاية النجاح قائم على التخطيط والوعي والاستمرارية".

ويؤكد الروائي حسين الضوان أن القرار في عمومه جيد، ولكنه يرى أنه، كعادة الكثير، من مشاريع التطوير في مجال الثقافة والتعليم، تتسم بالضبابية

من ناحية الأهداف بل وحتى الأسباب. يقول "بالأسس تمت إضافة منهج الفلسفة والتفكير المنطقي واليوم منهج الموسيقى، من الطبيعي جدا السؤال عن دوافع هذه القرارات. هل ترى وزارة التعليم أهمية الفنون كقيمة معرفية وجمالية تضيف إلى الفرد السعودي وتساهم في تحسين جودة حياته، أم أن الدافع من هذه الخطوة هو فقط اقتصادي بهدف زيادة الفرص الوظيفية في مختلف المجالات الفنية، تماما كبقية المجالات المعرفية الأخرى".

ويضيف "وضع الخطة النظرية على أرض الواقع يتطلب معرفة ورؤية واضحة للأسباب، فكل سبب يؤدي إلى خطة عمل مختلفة تماما، سواء من محتوى المناهج أو المعلمين والبيئة الأكاديمية ككل، فالمسألة أكبر من مجرد القيام بالمبادرة في ظل التغيرات الحالية السريعة يرى الضوان أنه لا حاجة للتدرج لإتمام هذه الخطة، حالة التناقض موجودة كنتيجة طبيعية لهذه التحولات الكبيرة، أما في ما يتعلق بالتحريم، فإن الموسيقى حرمت وشيطنت أيضا على مدى عقود دون أن يؤثر ذلك على أغلبية المجتمع حيث رأينا الحضور العريض والإقبال على الحفلات الموسيقية، فحضور التيار الديني اليوم ضعيف ومنحسر، وليس له وزن حقيقي اجتماعيا في هذا الموضوع.

قفزة متروية

عن قراءته للتعاون بين وزارتي التعليم والثقافة يقول القاص والنقاد مساعد الخميسي "يحمد لوزير الثقافة دابه ومبادرته المستمرة في سباق زمني حتى مع مشروعات الوزارة ذاتها والتي كما نعلم بانها لا تزال رهن التأسيس والنشوء المستقل الأمر الذي يجعلنا أمام

دهشة نشط لها وبما سيتحقق لمرحلة مشرقة جديدة، بجهاتها الأربع ومع جهات أخرى ربما كان البدء بوزارة التعليم الأكثر إلحاحا وتلاحما مع مشروعات الثقافة ويمثل نقطة الانطلاق نحو أهداف عدة لا مبرر لتحققها ونجاحها إلا عبر التعاون مع شريك أساس هو التعليم".

ويضيف "مسألة الموسيقى والأدب والجغرافيا والعلوم الدينية هو أمر قبل مرحلتنا هذه، من المسلم به والذي مر به كل دارس منا هو أنك طالب يدرس عدة مقررات مختلفة أو متفكدة، ألم ندرس قصيدة غزلية مثلا في حصة دراسية ما، تعقبها حصة في الفقه أو الحديث. أعتقد أن لا مسوغ لتناقض يلزمنا أن نتنبأ معه لخطورة ما ربما ستحدث، لقد وعى الإنسان اليوم وعيا يقبل التواصل اتفاقا وخلافا دونما وصاية نزع معها باننا أنقذنا مستقبلا من الهلاك، تلك أمور عفى عليها زمن مما أحرزته البشرية اليوم".

وتعتبر الروائية ندى الحالك تعاون الوزارتين قفزة هائلة إلى عتبة مستقل المملكة على جميع الأصعدة إلى مستوى جديد لم تكن عليه من قبل. لكن، في رأيها، أن الفكرة - وإن بدت مشجعة - إلا أنها ستصطدم بإيديولوجية الصحة التي ما زالت تمسك بأعقاب المشهد الثقافي والديني في المنطقة وتؤثر على نظرة بعض الأفراد لإدراج الثقافة والفنون رغم ضرورتها في المجتمع.

تقول الحالك "إن الطريق لتنفيذ هذا التعاون بين الوزارتين يجب أن يمر عبر الفتاوى التي تحرم الموسيقى في المناهج الدراسية وستسبب للطالب المتذوق للفن تناقضا بين رغبته في دراسة هذه الفنون ومنها الموسيقى وبين كم الأحكام التي تدين رغبته على نظرته بد لهذا القرار من أن يتأثر ببقايا سيطرة التفكير الصحوي وسيمر بفترة طويلة قبل أن نرى نتائجها متمرة على أرض الواقع بالشكل الذي نرتضيه، إذ وإن استطعنا الخروج من عباءة هذا التفكير يجب الاهتمام بتجهيز المدارس بالكوادير التعليمية الكفو وتجهيز المباني لضمان الوصول للنتيجة المرجوة لتنفيذ هذا القرار".

وفي الشأن نفسه يقول القاص طاهر الزارعي "في ظل التحولات التي تشهدها السعودية في جميع المجالات وتبعاً لرؤية 2030 فإن هذا التعاون بين الوزارتين ليس مستغربا، فالموسيقى غذاء الروح كما أنها قد تم تدريسها منذ 60 عاما في مدارس جدة وكانت هناك معامل لتعليم البيانو والغيتار والربابة والدف وما إلى ذلك من الأنواع الموسيقية، ويأتي هذا القرار المفاجئ والصادم نوعا ما للمجتمع نتيجة لأهمية الموسيقى في

توجيه بوصلة التغيير نحو الجذور

حياتنا فدول أخرى وجارة لنا سبقتنا في هذا المجال بأعوام ومن هنا، فالتعليم لا بد أن يسير نحو خطوات راقية تواكب الدول الأخرى في تعليمها للموسيقى والفنون والعروض المسرحية".

ويضيف "يحتاج القرار للرؤية والهدوء وعدم الاستعجال حتى تكتمل كل البات العمل ومن ضمنها إيجاد كوادير مهية لتعليم الموسيقى والفنون الأخرى كما أن كثيرا من المباني تحتاج لتهيئة كبيرة لإعداد مرافق لهذه الفنون وإعداد الآلات الموسيقية والمسارح وتأليف الكتب المختصة لذلك. ولا بأس في التروي حتى تكتمل كل البات هذه الفنون لتخرج على مستوى عال من النضج والجمال".

تعاون وزارتي الثقافة والتعليم قفزة هائلة إلى عتبة سننقل المملكة إلى مستوى جديد لم تكن عليه من قبل

ومن جانبه يشير القاص والمسرحي على الزهراني إلى أن التعليم والثقافة والسلام النفسي والتصالح مع الذات

وتغيير النمط السائد لدى بعض الطلاب. يقول "كلما كانت الثقافة والفنون ذات قيمة إيجابية تدفع الطلاب إلى الوصول للنموذج السوي القدوة في نفسه بين زملائه بين أسرته كانت أنجع وأزهر وأثمر ففكرنا تعلمنا وتعلينا وثقافتنا وفنوننا. صنعته الدكتاتورية والتهميش وكانه ولد ضائع يهيم على وجهه في الطرقات مجهول الهوية والنسب. ولكن مع هذا التعاون في المسرح كمادة تدخل في منهج دراسي خطوة موفقة جدا للارتقاء بالذوق العام للطلاب، فالمسرح يؤثر في أبنائنا الطلاب (مشاهدة وتعلما وسلوكا). وهذا ما جعله النشاط المحب للطلاب لأنه يخرج من الجمود الفكري والعقلي في داخل الغرف الاستمسية إلى فضاء الثقافة والفنون فضاء الإبداع والسمو وكشف المواهب وصلقلها لتصبح جوهرة تشع الناظرين".

ويضيف مختتما "الثقافة والفنون في مدارسنا تحول مهم جدا بلبلوغ المعالي والمعاني الحقيقية ففمن وجهة نظري أن يتم التدرج في ذلك حتى نصل إلى مراد هذا التعاون البناء والمثمر بين وزارتي الثقافة والتعليم. والإسراع إلى التطبيق أمر مطلوب وعاجل المهم أن نبدا".

